SYRIA. WIZARAT AL-THAQAFAH WA-
AL-IRSHAD AL-QAWMI

AL-'URUBAH TURKARRIMU ILYAS FARHAT

Princeton University Library
32101 073551606

2269
.341
.943

2269.341.943
Syria. Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Irshād al-Qawmī
al-'Urūbah tukarrimu Ilyās Farhāt

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

العروبة

تكرّم الشاعر

الياس فرحات

وزارة الثقافة والإرشاد القومي للإقليم السوري

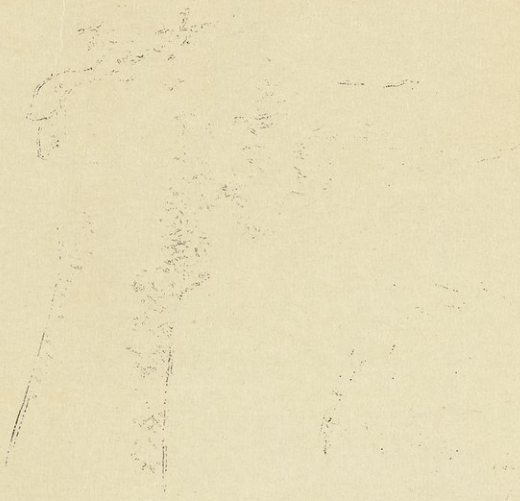

Syria. Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Irshād al-Qawmī

العروبة

تكرّم الشاعر

الياس فرحات

al-ʿUrūbah tukarrimu Ilyās Farḥāt

وزارة الثقافة والإرشاد القومي للإقليم السوري

2269
.341
(ont.).943

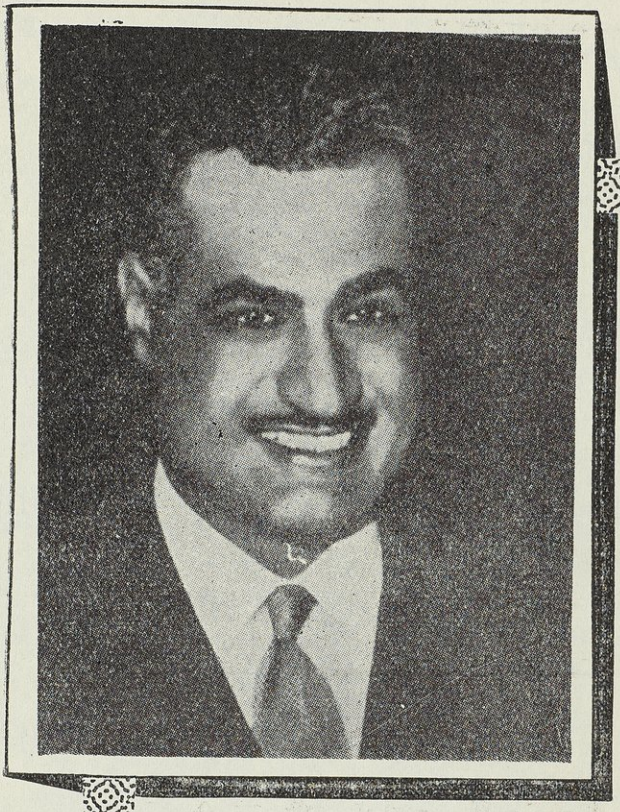

انتم قادة الفكر، عليكم واجب أساسي في اقامة أدب عربي تحرر مستقل خال من السيطرة الأجنبية أو التوجيه الأجنبي، وبهذا يمكن أن تساعدوا وأن تعملوا في سبيل التضامن العربي وفي تدعيم القومية العربية وتحقيق أهدافها.

جمال عبد الناصر

12-3-68 1983

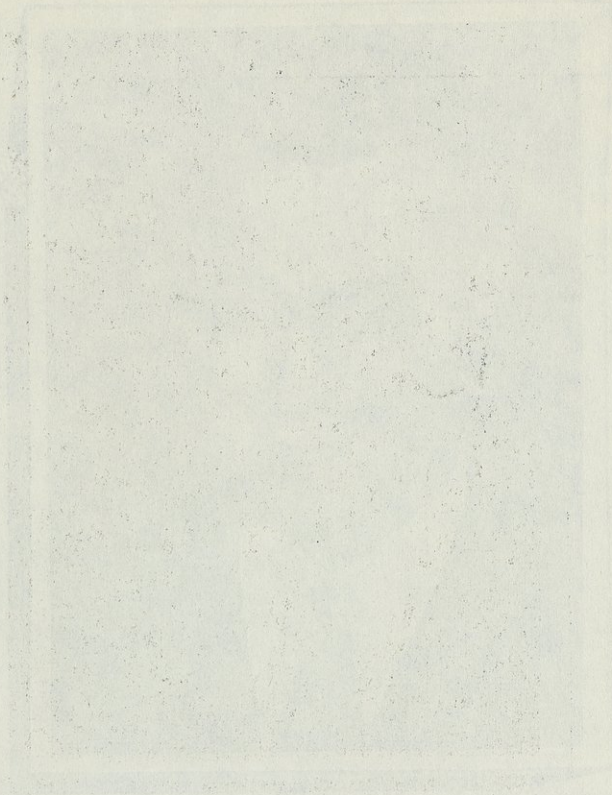

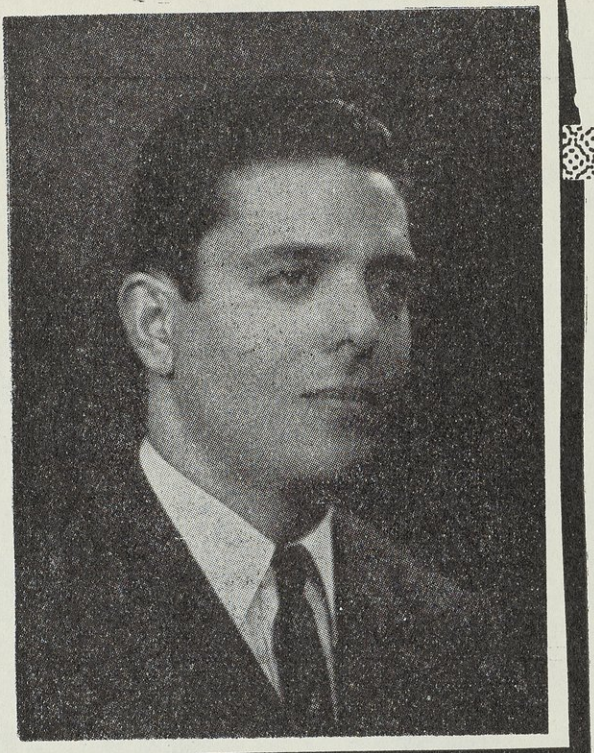

إن شعراء وأدباء المهجر هم خير تعبير عن أصالة العرب وقدرتهم على الإبداع والخلق وحفاظهم على روحهم وتراثهم.. إنهم في غربتهم خير الدعاة لأمتهم، الحملة لثقافتها، الذاكرون لخيرها وعهودها.

رياض المالكي

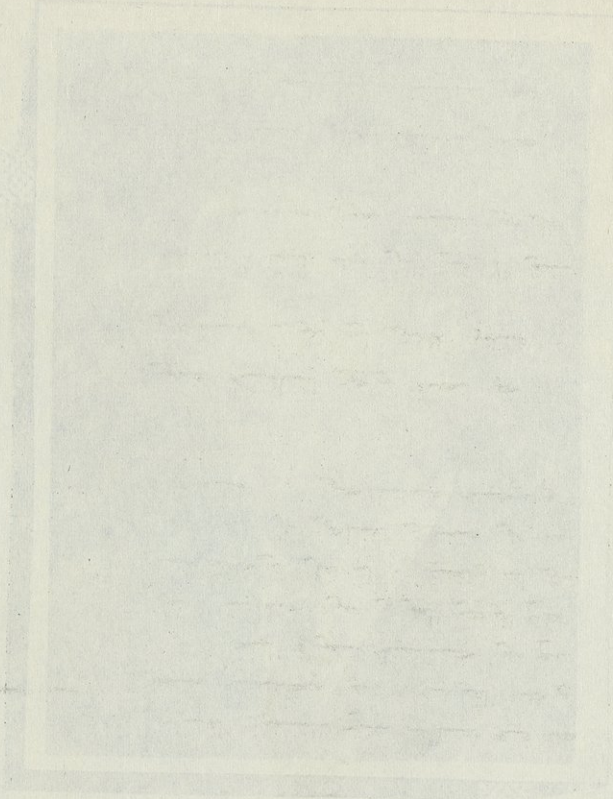

PC = LC
2269
.341
Farḥāt, Ilyās Ḥalīm,
1853?

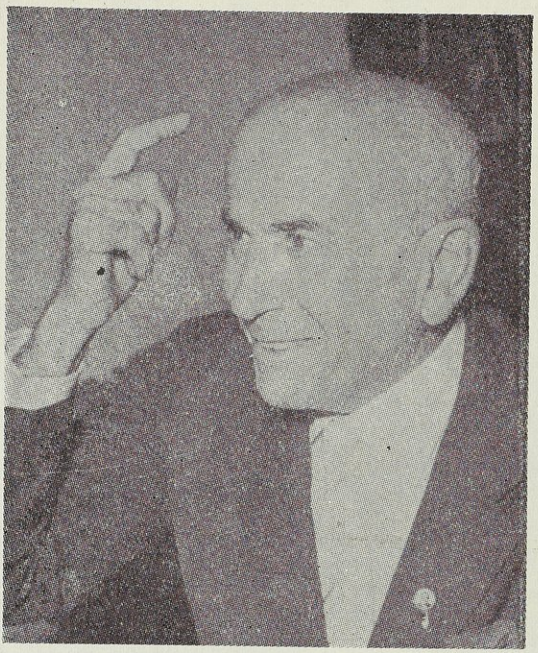

ربة الحكمة إني شاعرٌ يشبه الحكمة منذ كان صبيا
لا تخالبني لصيقاً بالثرى لا تمسّ الأرض إلا قدميا
إن في الإنسان من فطرته للثرى شبثاً وشبثاً للثريا

إلياس فرحات

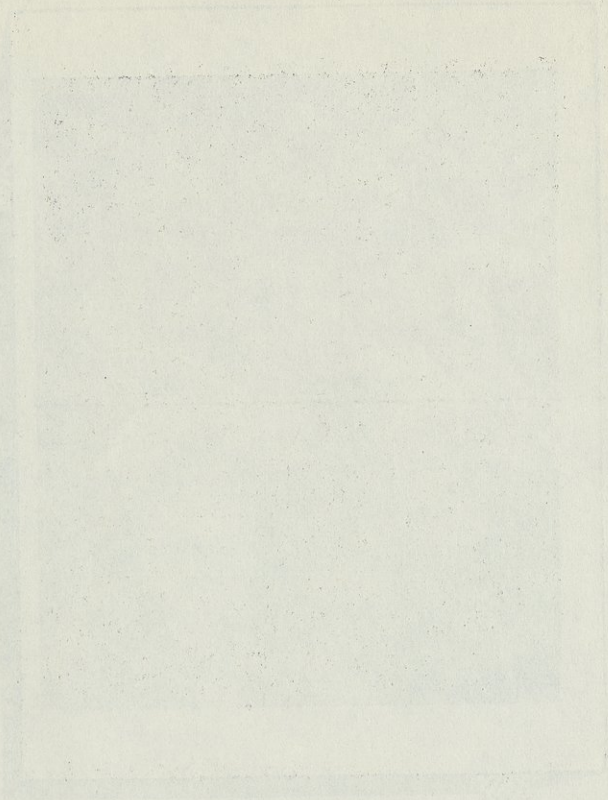

شاعر وطنه في قلبه

بقلم

سيادة الاستاذ رياض المالكي
وزير الثقافة والارشاد القومي للاقليم السوري

ايها السيدات والسادة

ايها الشاعر الكبير

بالامس القريب كرمت الجمهورية العربية المتحدة الشاعر القروي الاستاذ رشيد سليم الخوري ، واليوم تكرم رفيقه الشاعر الكبير الاستاذ الياس فرحات .

وانها لغبطة كبرى أن تتاح لها خلال فترة قصيرة هذه الفرصة الغالية ، فرصة اللقاء بشاعرين عربيين فذين كانت حياتهما دائما حنينا متصلا الى الوطن ، وكفاحا مستمرا في سبيله . وانها لفرصة حقا أن تؤوي العروبة في أضلعها قلبين وفيين طالما خفقا لها من بعيد .

ونحن اذ نكرم اليوم الاستاذ الياس فرحات ، فاننا لا نكرم شاعرا مبدعا مجددا فحسب ، وانما نحتفي الى هذا بالانسان الكبير الذي عرف أن يوحد بين شعره

وحياته ، فجاءت حياته صورة صادقة عن شعره ، بل قل جاء شعره مرآة صادقة عن حياته ، على حد تعبيره هو نفسه .

لقد كان صادقا في أحاسيسه ومشاعره صدقه في سلوكه . ولم يهن ولم يلن ، ولم يتنكب طريق النضال المستمر في سبيل ايمانه بقوميته وبالوطن العربي الكبير . ومضى في نهجه دون أن يبالي بالاشواك تملأ دربه الشاق الوعر ، واهتز وتر قلبه لكل حادثة وقعت في وطنه العربي ، ورافق نضال هذا الوطن خطوة خطوة ، وسجل أفعال المخلصين له ، وثار على المقصرين المتآمرين . بل لقد بلغ به حرصه على الكفاح في سبيل حرية أمته وخلاصها من مستعمريها وأدوائها الاجتماعية أن أنكر على رفيق جهاده المرحوم شفيق عماد ميتته ، كأنما يرى أن معركة العرب لا تسمح للمناضلين حتى بالموت المبكر .

فعل هذا كله وهو المناضل في سبيل العيش ، المكافح في طريق الرزق ، المصارع لنوب الايام . لقد عرف ان يمتاح من حياته القاسية أرقى المعاني الانسانية وأنبلها وأن يزداد صلابة في الحق وجرأة في القول وصدقا في الكفاح وحنينا الى الخلاص .

أيها الشاعر الكبير

لطالما حننت الى الوطن ، بل لقد كنت فيه دائما في حلك وترحالك ، ولم تفارقه حتى في غربتك ، كما قلت يوم وصولك . وهاجرت منه « وقلبك فيه لم يزل » على حد قولك . بل لقد حلمت بالعودة اليه في شعرك ويممت شطره في رحلاتك الثلاث التي تخيلتها في ديوانك . وخشيت ألا تمن عليك دار العروبة بلقيا تسترد بها فجر الشباب . ولكن العروبة لم تمن عليك بهذا اللقاء ، بل أنت الذي مننت عليها به اذ لبيت دعوتها ، وعدت الى أهل واخوان يتشوقون الى لقياك .

لقد رفعت هامك دوما وكانت جذورك مطمئنة في ثرى أمتك ، وان أردت في شعرك غير هذا . فطب مقاما في ارضك وبين بني عشيرتك الذين يعتزون ويفاخرون بك .

سيداتي سادتي

ان شعراء وادباء المهجر هم خير تعبير عن أصالة العربي وقدرته على الابداع والخلق ، وحفاظه على روحه وتراثه . وان مما يزيد الامة العربية ثقة بنفسها وانسانيتها أن يغادر أرضها فتية في عمر الزهور ، لم يلقوا فيها الا الظلم والجور ، ولم ينالوا من ثقافتها الا الزاد اليسير ، فاذا بهم في غربتهم خير الدعاة لها ، الحملة لثقافتها الذاكرون لخيرها وعهودها .

وما تكريمنا لهم الا تكريم للعزة القومية التي تأبى أن تهون ، وللنفس العربية التي تعرف ان تبدع لامتها أنى كانت ، وللطبع العربي الذي يقدم بصدقه وأصالته زادا انسانيا خالدا .

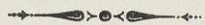

كلمة المغتربين

بقلم :
الأديب المهجري الكبير
الاستاذ نظير زيتون

كلمة المغتربين في تكريم شاعرهم فرحات ، وماعسى أن تكون كلمة المغتربين ، غير حبات من بخور الوفاء والازدهاء ، تضوع في الفضاء وتضمخ القبة الزرقاء .

ما عسى أن تكون غير صلاة ودعاء ، صلاة نرفعها الى السماء ، شكرا لله على فيض الآلاء ، وعلى نعماءالاستقلال والوحدة العربية الزهراء. صلاة تطلقها القلوب والحناجر. وتنبعث من الضمائر والسرائر ، صلاة نرددها على المحاريب والهياكل والمنابر : انّا شهدنا البعث . انّا شهدنا البعث بعبد الناصر .

وانّا شهدنا الفجر ، بالقائد الملهم الثائر . وانّا شهدنا جحافل القادسية واليرموك وحطين والقناة ، بجيشنا العربي الباسل الظافر .

وانّا شهدنا انطلاقة المارد القاهر ينفخ في صور الحياة ، فتهتز الوراري السواهر . متسائلات عن الحدث الرائع الباهر .

وانّا شهدنا صانع التاريخ : يمحو ما خطه القضاء العاثر . ويذهّب الصفحات بالمآثر والمفاخر ، ويرصعها بالفرائد والجواهر ، فبوركت يد تلملم النجوم الزواهر ، وترشها نورا في الابصار والبصائر . وتجنّحها مجدا لأمة عريقة ارادت البعث الدافق الهادر ، تصوغه تاجا على رأس كل عربي مؤمن ثائر . وترميه شصا في شدق كل متآمر وماكر . وساخر وفاجر .

كلمة المغتربين ؟ وما عسى أن تكون كلمة المغتربين ، والمهرجان مهرجان شاعر المهجر . غير حنيف كوثري . وغير وجد عبهري ، وغير زهو عبقري . ما عسى أن تكون كلمة المغتربين غير انتفاضة المعزّة والكبرياء ، بالوطن العربي الوضاء . والأم المشبل الشماء . والدوحة الباسقة الهدباء ، دوحة العروبة الشامخة الافياء . عرين الليوث والظباء . وينبوع البطولة والمضاء . ورفرف الوحي والانبياء . ومهد الحرف والهجاء . ومنتجع الشعر والحكمة والرواء . وشرعة العدل والاحسان والاخاء .

ماعسى أن تكون كلمة المغتربين ، وتكريم شاعرهم تكريم لهم ، غير شموع متهللات وضيئات معتدلات . يعربيات ابيّات وفيّات . جناهن الحب من بنات الحنايا ، لا من بنات الخلايا . واتخذت من صهوات الاثير مطايا . وقد أبت عليهن شم المزايا . وعراب السجايا . الا أن يرسلن التحايا هتافا مجلجلا مدويا رفاف الثنايا . هتافا بالأمة العربية التي أيقظت الزمن ، وقد كان يغط نائما في أجحاره وأوجاره .

هتافا بالأمة العربية التي نفضت عن الفكر عشاوة جموده وتهتاره . وحطمت من أنياره . وحررته من اساره . فتألق قبسا الاهيا يزحزح عن الكون حجاب اسراره . ويرتاد أغوار المنظور وغير المنظور في غزواته وأسفاره . وانتفاضات أنواره ، واذا العقل العربي ينبوع الاشراق في مداره . وسيد الابداع في تسياره . وكتاب الله في قراره .

هتافا بالامة العربية التي خلعت على التاريخ حللا باذخة ضامخة . ووسامة ساطعة صارخة . وحلى زاهية شامخة . يوم كان التاريخ مهزولا عريانا يتعثر بأطماره . متبهنسا يتنزى بأنيابه وأظفاره .

هتافا بالامة العربية التي كانت للانسانية ظئرا . وللعلى صدرا . وللعلم بحرا ، وللعدل فجرا ، وللمكرمات زهرا وعطرا ، وللحياة خمرا وسحرا ، ولله تسبيحة وشعرا ، وسيفا ونصرا ، ومحبة وبرا .

نعم أيها السادة ، ما عسى أن تكون كلمة المغتربين في مهرجان الشاعر المهجري العصامي الذي شدا لأمته حنونا من وراء البحار . وناجاها مفتونا في الآصال والاسحار . وعاطاها نغوما كؤوس الوفاء والذمار . وصاغ لها عقودا من الشهبان تزوي بالدر والنضار . وناضل في سبيلها بتئارا وأي بتار . ومغوارا واي مغوار . واستوحاها في شعره الذهّار ، فاذا القريض زارة وفخار ، وغناء واعصار ، وعقيدة وشفار ، واذا القوافي لحن متسعر الاوتار . وخيال مخضوض الاقمار ، متفاوح الازهار . مترنح الاطيار . نشوان المزمار .

أجل ، ما عسى أن تكون كلمة المغتربين في هذا الموقف الجليل الحفيل ، غير ذكريات نضرات عبقات . تأرج في الحنايا شذاها ، وتردد في الجوانح صداها . وتأجج في القلب هواها ، وتهلل في الخاطر نجواها ، وتسامى بالنضال معناها ومرماها ومجناها ...

. . .

ولنرجع القهقرى خمسين وستين عاما ، يوم كان المهاجرون من سورية ولبنان قطعانا بشرية يسوقهم السماسرة في بيروت الى البواخر الاجنبية يهربونهم تارة ، ويستشفعون لهم طورا ، ويسترخصون مرة ..

وكانت موجات الهجرة تتعاقب وتتلاطم ، فلا يمر اسبوع حتى تطرح البواخر على شطآن العالم الجديد ، شرقا وغربا شحناتها البشرية المستوردة نفسها من شرقي البحر المتوسط ، وكأنها فسائل بشرية اقتلعها القدر من (المشتل العربي) وحملها الى اقاصي العالم ، يستنبتها في ارض غير ارضها وتحت سماء غير سمائها ، ويالهفة القلب ، يالهفة قلب تلفت الى أولئك المهاجرين المغامرين ، وقد ادركت البواخر أسياف العالم الجديد ، وانتزعتهم من أجوافها ، وتركتهم على اليابسة ، وفي الثغور بسمات واجفات . وفي الافواه كلمات مغمغمات . وفي العيون عبرات مشرقات ، وفي الصدور عزائم ماضيات وهمم متعاليات ...

وكان أولئك الرواد الماهدون ، في معظمهم أميين وأشباه أميين وأشباه متعلمين ، وكلهم قبلتهم اميركة . اما اختيار البلدان والمدن فمتروك امره للسماسرة وشركات الملاحة ، وبالتالي كانت الاقدار تتحكم في مصير هؤلاء المهاجرين ، فتسيرهم كما تشاء لا كما يشاؤون ، ما داموا يجهلون كل شيء، من جغرافية اميركة الطبيعية والسياسية ، الى لغاتها وشرائعها وعاداتها . وكل ما يعرفونه انها بلاد تدر لبنا وعسلا وذهبا ، وان استدرت عرقا ودما ونصبا .

فالهجرة السورية واللبنانية الى العالم الجديد كانت مجازفة خارقة محفوفة بكل مايروع القلوب . لا اعرف في كل ما طالعته من أوابد المجازفات الجماعية ما يقارف هذه الهجرة العربية الى العالم الجديد في العهد العثماني . انها اسطورة عملاقية لم تسجل تواريخ الشعوب في كل أحداثها ، اسطورة أروع وأدعى الى الدهشة والاعجاب من هذه الاسطورة المجنحة التي تقمصها المغترب العربي . المغترب الشجاع الالمعي الذي طار جادفا مقصوص الجناح ، وغزا ظافرا ولا رماح . وفتح بعصاميته ومضاء عزمه . وحصانة خلقه وحزمه . وطموحه وحلمه . وبجلد جليد على احتمال الشدائد المرهقات . ومكافحة العناصر المستعديات ، نعم ، فتح وهو الفقير المهزول مادة ويدا ، أبدع الفتوحات العمرانية والحضارية والثقافية وشيد في مهاجره النائية حيث لا حكومة ترعاه وترافده . ولا مؤسسات وشركات تؤازره وتسانده ، وتشق له طريق النجاح وتعاضده ، شيد في مهاجره القصية ، وهو النكرة الاعزل ، الا من صدر وقاد . وزند شداد . وعزم مداد ، دولة رفيعة العماد . باذخة الامجاد . راسخة متعالية كالاطواد .

دولة تعفو على أماني المتمني . ومعارج المتغني . دولة زهراء شماء تشرئب اليها الاعناق اعجابا وتعظيما وتسجد الابصار تكريما وتفخيما . وحسبها اليوم مجدا أنها امتداد لوحدتنا عبر البحار وشراع لجمهوريتنا . ومعجزة تاريخية من معجزات عصاميتنا . وآية رائعة من آيات بنائنا وعبقريتنا .

انها أيها السادة ، دولة العروبة التي شيدها أولئك الرواد الماهدون ، الأميون وأشباه الأميين وأشباه المتعلمين الذين تحدر من أصلابهم، ويالفخر، الوف والوف من فراقد العلم والثقافة والعرفان والقلم والسياسة والعمران ونباهة الشان . انها دولة العروبة التي اختالت أعلامها خفاقة فوق الجبال

والسهول والدساكر والحقول . وارتمت ظلالها على كل قرية ومدينة وعاصمة ، حتى المجاهل الشاسعة الشموس التي استعصت على الانسان والعمران ، رادها ذلك المهاجر العربي الشجاع وذللها وراضها . وهدهدها بحنانه الريان ، وحمل اليها رسالة الحياة والعرفان ، وكأن في جوانحه ضراما من صقر قريش ، ولألاء من ملوك غسان ...

واسمعوا أيها السيدات والسادة ، هذه القصة التي رواها الرئيس الاميركاني تيودور روزفلت ، وقد كان مغرما بالصيد والكشف عن المجاهل ، فبعد انتهاء رئاسته في ١٩٠٩ نظم رحلة الى الادغال البرازيلية البكر ، وأوغل فيها يقتنص ضواري السبع وجوارح الطير ، وعندما توسط هذه الغابات العذراء الغطشاء ، شاقه أن يدون على لوحة معدنية خبر وصوله اليها . وبعدما علق الصفيحة التذكارية على شجرة ضخمة وقد ترنحت اعطافه زهواً وكبرياء اذ ارتاد ارضا لم تطأها قبله قدم بشرية ، اذا أحد أعوانه يدفع اليه صفحات من جريدة غريبة الحروف عثر عليها بين الاعشاب . فذهل الرئيس روزفلت عندما رآها وبعدما تأملها ودقق فيها عرف من بعض الحروف اللاتينية أنها جريدة عربية مطبوعة في سان باولو البرازيل اسمها (الافكار) التي كان يصدرها المرحوم الدكتور سعيد ابو جمره ، وعندئذ هز الرئيس روزفلت رأسه حزينا ساهما وأمر بانتزاع الصفيحة التذكارية قائلا :

ـ ان « التوركو » سبقنا الى هذه المجاهل وأضاع علينا مجد السبق والاكتشاف ... وجدير بنا أن نحيي فيه البطولة والطموح ...

. . .

والتوركو ، أيها السادة هو اللقب الذي كان خصومنا الاوربيون ينبزون به أبناء العرب المهاجرين . كانوا يطلقون عليهم هذا اللقب البغيض من باب الازدراء والتحقير ، طرق مسامعهم للمرة الاولى على متون البواخر التي ركبوها الى العالم الجديد .

كان المهاجرون السوريون واللبنانيون يقضون أيام السفر حول أسرتهم في ابهاء جوفية واسعة أو على ظهر الباخرة يستقبلون الشمس او يودعونها ، وفي الليل يناجون القمر ويمرحون ، وقد ارسل أشعته الانيسة تملأ الارض جمالا وجلالا والنفوس دفئا وحنانا .

وكان الشعور بألم الفراق والغربة وارتياد المجهول مشتركا بينهم . الذكريات تنطلق تنهدات . وتجري عبرات مرتعشات . في عيون ذاهلات حالمات . وتتسعر زفرات مترنحات متأودات . ما رأيت احنى على الحب من ضلوع متلهفات ، على زغلول خفاق قلق النبضات . يرسل زفرته انفاسا ملتهبات ، وخلجات متوسلات ، وعندئذ في زحمة الانفعالات والتجربات . يتأوه القصب وتنتفض أوتار العود . ويشهق الكمان ، وتهمهم الدربكة ويدندن الزغلول المرتعش ، فاذا الميجنا ، واذا العتابا ، واذا الموال وسائر الاغاني الشعبية الاصيلة .

وكان المهاجرون الاجانب من أبناء الجنوب الاوربي ، ينظرون اليهم ساخرين هازئين ، ثم يصرخون مستفزين : تورکو .. تورکو ...
ولم يكن هذا (التورکو) جبانا فينام على ضيم . هرب من التورکو في بلاده ، فتبعه (التورکو) بأفواه المتعصبين الاوربيين ...

وكان بدهيا بعد هذا أن تنشب المعركة بين المهاجرين العرب والمهاجرين الاوربيين . ويالله ما أصدق صوت العرق والارومة ، لقد نسي أبناء العرب تكتلاتهم البلدية والاقليمية والطائفية وهبوا صفا واحدا يدفعون التحرش الاجنبي وينافحون عن كرامتهم القومية . لكل مهاجر من القدامى قصص وأحاديث حول هذه المشاجرات العنصرية التي كانت تتكرر بصورة مستمرة في أغلب البواخر ، وما انقطعت الا بعد الحرب العالمية الاولى ...

وشكرا أيها السادة لاولئك الاوربيين المتعصبين . لقد علمونا نحن المغتربين ، عندما كان الشرق يتخبط في دياجير التعصبات الطائفية ، لقد علمونا الحروف الاولى في أبجدية القومية .

ثم تلقينا في مهاجرنا الاميركية ابلغ الدروس في الوطنية وحب الوطن والدفاع عن كرامة الوطن . تعلمنا ان الاوطان ، لا تبنى على اقطاعية الدمى والاوثان . ولا على الطائفية والتكتلات المذهبية . وانما تبنى على القومية وابجدية المساواة الاخوية ، وعلى البطولات المثالية ، والانطلاقات العلمية والاجتماعية والانسانية .

كانوا يحتفلون بأعيادهم الوطنية ويستعرضون معاركهم الاستقلالية وانتصاراتهم . ويتغنون بعظمائهم وشهدائهم وقادتهم . وكنا أيها السادة ،

نسير في مواكبهم ونصغي الى أهازيجهم وننصت لخطبائهم وقد استولى علينا شعور عميق مشبوب ، شعور باليتم الوطني ، باليتم الجامح الظمآن . وبالحرمان اللافح العريان ، ولا اقول انه كان ينتابنا شعور الحسد ، كلا . فقد كانت صدورنا عامرة بالايمان . حافلة بالرؤى الثائرة الالحان . والآمال المتغضنة الاغصان ، وكأن في ريّاها نفحة الجِنان ، وبشرى تغمر الوجدان.

لنا وطن جميل نبيل ، في تاريخ مشرق أثيل . ولكنه رازح تحت النير العثماني . ولنا دوحة هدباء شماء ، ولكنها مجزأة مبعثرة عصفت بغصونها ريح الاستعمار والتخاذل والبغضاء . وهـذا اللقب البغيض – توركو – ينبزوننا به عن قصد أو جهل ، لا يزال يتبعنا ويتعقبنا ويعكس ظله الاسود على محاسننا ومفاخرنا ، ونحن في أقاصي الارض .

. . .

وكانت معاركنا المادية والمعنوية شاقة عسيرة قاسية . بيد ان معركتنا المعنوية ، معركة الكرامة كانت هدفنا الارفع . علينا ان نعرّف الشعوب الاميركية بحقيقتنا ، بوطننا الاصيل ، بأمتنا العربيـة التي أنشـأت أزهى الحضارات في الاندلس والبرتغال اللتين يمت اليهما أبناء اميركة اللاتينية بأقوى الوشائج السلالية واللغوية والثقافية . بلى وذهبنا الى أبعد مـن هذا ... سمعنا صوت الدم يهمس في مسامعنا تارة ، ومسامعهم أخرى . ورأى كلانا وجه صاحبه في وجهه . ومناقبه في مناقبه ، وبطولته في بطولته ...

سمعنا خمسة آلاف لفظة عربية تأصلت جذورها في معاجمهم ودرجت على ألسنتهم .

سمعنا الحدو العربي في (الفادو) البرتغالي ، والبرازيلي ، وتنغيم زرياب الاندلسي في (التانغو) الارجنتيني .

ورأينا الجوشن العربي في فروسية (الغاووشو) البرازيلي والارجنتيني.

وأنصتنا الى صوت التاريخ يهيب بكلينا ويقول : ألا انكما نسيبان . فما جدود هؤلاء الابناء الاميركيين ، الا من بقايا العرب من الاندلسيين الذيـن صنعوا الحياة والعمران يوم كانت اميركة قارة خضراء بكماء ، وخريـدة عذراء ، لم تمسسها يد ببناء وطلاء .

نعم ، من بقايا العرب الاندلسيين الذين اطلقوا على المدن التي انشأوها أسماء مدنهم الاندلسية العربية ، لا اسماء المدن الاسبانية .

نعم ، من بقايا العرب الاندلسيين الذين زور ديوان التفتيش اسماءهم وأزياءهم ، ولكنه لم يستطع أن يزوّر دماءهم ، فرأى أبناؤهم في المغترب العربي تلك الآصرة الحنانة النفّاحة التي جمعت بين النسيبين المتباعدين ، فكان الحب ، وكان الاخلاص ، وكان للمغترب العربي منزلته العليا التي لا يدانيه فيها مغترب أجنبي آخر .

. . .

غير أن جوالينا التي وقفت صفا واحدا في معركة الكرامة لم تلبث أن انشقت على نفسها في تيارات سياسية عنيفة دلت على تفاوت المفهومات الوطنية والاهداف القومية ، فكانت المعارك الداخلية حامية الوطيس . فريق متعثمن ، وفريق انتدابي اتكالي ، وكلاهما عالج القضية الوطنية على ضوء الاقليمية والطائفية وشعوبية المدارس الاجنبية . وفريق سبق الزمن فنادى بانفصال سورية الطبيعية واستقلالها ، قبل أن يبرز على مسرح السياسة الدولية ما يسمى قضية سورية ، كما نادى بالدولة العربية التي كانت حلما يتراءى من وراء الغيب ، لاصحاب الرسالات القومية لأولئك الانبياء الذين يرون ببصائرهم النيّرة ما لا تراه العينان ، ويحسون ما لا يحسه الا الوجدان ، والالهام الريان .

ومن صميم هذا السعير السياسي النضالي ، من صميم هذه المعارك الوطنية . ومن صلب هذا اللهب الطهور . من أعماق ألسنة النار الحمراء العذراء التي نادت بسورية المستقلة ، وبالدولة العربية ، من ضرام هذا الجمر المقدس الذي تساقط على رؤوس الاحرار العرب بردا وسلاما . واكليلا من الغار ووساما ، انبثق الشاعر فرحات ، كما تنبثق الشرارات في محاجر العاصفة ، والرعد في اصطراع الغيوم والزلزال في قهقهة الارض ، والفارس المجنح في رغادة الاسطورة الحالمة ...

بلى ، وكأن الشاعر فرحات كان على موعد مع الاهباء في زمجرة الزوبعة ، ومع عمود النار في فوهة البركان . ومع شعاع الفجر في ولادة الشمس ، ومع انفاس الربيع في فرحة الطبيعة ، ونشوة الطبيعة ، وعطاء الطبيعة العبقري ...

برز الشاعر فرحات من صميم الشعب ، والوعي القومي والحركة العربية الاستقلالية في المهجر البرازيلي ، فكان ذلك المناضل العنيد الأبي . وذلك الوطني الوفي ، وذلك الصوفي السخي ، كما كان للعروبة صيدحها ورمحها . وللقوافي فوحها وبوحها . تفجر في حناياه معين الشعر الصافي العذب . فكان لسانه الذرب . وكان للابداع فتاه الندب .

وآيته الكبرى ، أنه تسلق ذروة القريض ، وهو لا يعرف ما العروض . ولا النحو والصرف ، وحركات الحرف . وجارى الفحول تحليقا وتنميقا وتزويقا ، بملكة شعرية اصيلة ، لا تتكلف ولا تتعمل ولا تتصلف ، بل تجري كوثرا من خمر ، وتطل دفقة من فجر ، وأخذة من سحر ، وتتألق حرفا من تبر ، وتحلق جناحا من نسر ...

. . .

وآية فرحات ورفاقه رواد الادب العربي المتحرر ، وأعلام النضال القومي ، في المهجر البرازيلي القصي ، آيتهم انهم حملوا في قلوبهم وأذهانهم الى ديار الغربة النائية ، كلمة شعب عريق في اصالته وحضارته وسماحته كلمة شعب اريحي مطماح معطاء ، رنا بأبصاره الى العلياء . ودق أبواب السماء ، وضرب الاوتاد وشد الاطناب ونصب الخيام في رحاب القبة الزرقاء ، ثم آب وملء جنانه ووجدانه . وحسه ونفسه ، كلمة الله الزهراء. ينشرها نورا ودينا وعلما وشريعة غراء . يفتتح بها ابواب المجد والمضاء والتسامي والاخاء . والسلام والرخاء .

آيتهم ايها السادة ، انهم ساروا في ضوء التراث الفكري العربي ، فما تاهوا ولا ضلوا ولا تنكبوا عن الطريق . واغترفوا من مناهل العروبة ، فما رفعوا عيونهم الى سماء غير سمائهم . ولا استقوا من ماء غير مائهم . ولا جنحوا الى دلاء غير دلائهم ، على كثرة ما حولهم من ماء ودلاء .

واننا نأبى أيها السادة ، ويأبى علينا تراثنا الفكري الزاخر ، يأبى علينا عقلنا العربي المبدع الباهر ، أن نمثل دور السفينة التائهة ، فنستجدي الآخرين ونستسقي منهم ماء آسناً ، وعندنا الماء العذب الفرات ، متفجرا من انقى معين ، رقراقا ظهورا قرة للعيون . وموردا حيا للظامئين . وريا زكيا للارضين ...

وتعود بي الذكريات ايها السيدات والسادة الى عام ١٩٢٥ ، يوم اصدر التي ارتفع فيها أول صوت للقومية العربية ، الى معركة بور سعيد التي جدعت أنف القرصنة الثلاثية فمعركة الوحدة المصرية السورية التي غرزت المسمار الاكبر في عين الاستعمار والصهيونية ، اذا استفتينا المجد اجابنا : سلوا الايمان العربي . سلوا العقيدة العربيـــة . سلوا العقيدة النضاليـــة المولدة الخلاقة التي تضرب الصخر بعصاها السحرية ، فينبجس منه كوثر العبقريات والالمعيات والاريحيات . وفيض البطولات والمكرمات . بهـــذه العقيدة العربية العجائبية الصافية المتلألئة ، لا بالعقائد الآجنة الآسنة الماجنة التي يستوردها من الخارج ، من يعيشون على هامش الحياة والفكر والوطن بهذه العقيدة ينبلج فجر الحياة والامراع والاينا ع . وينشق طريق الحرية والاشعاع والابدا ع .

. . .

وتعود بي الذكريات ايها السيدات والسادة الى عام ١٩٢٥ ، يوم أصدر شاعرنا فرحات رباعياته الحكمية الساخرة الثائرة فقد نفحني آنئذ بنسخة منها مزدانة بهذه العبارة الاهدائية : ــ الى اخي في الادب والفاقة نظير زيتون ــ

فاسترعت انتباهي هذه (الفاقة) وتأملتها مليا لاستشف من خلالها اطراء لا يفوقه اطراء ، وكبرياء تقصر عنها كل كبرياء .

ما أسمى هذه (الفاقة) المبدعة التي جمعتني بالشاعر العظيم فرحات على صعيد الادب .

وما أمجد هذه الفاقة المعذوبة التي تدفعني الى التغني بها ، في هذا المهرجان الجليل ، كما يتغنى الجندي ببطولاته وفتوحاته ، ما احيلى ذكراها وذكرى أيامها ...

نعم لقد كنا وقتئذ نتقاسم السراء والضراء . والخيبة والرجاء ، كما كنا نتقاسم الرغيف والماء . والشمس والهواء ، واحيانا الرداء ... ولكنـــا كنا كرماء سعداء . لا نتعثر بفاقتنا أذلاء . بل نصعّد خدودنا أباة أعزاء . ونمضي الى أهدافنا أقويـــاء حسبنا ان تظللنا رسالة العروبـــة الزهراء ، والوطنية الشماء ، لنسحب ذيولنا على الاغنياء الجائعين ، والملوك المزورين ،

والامراء المحنطين ، فانما الفاقة يا اخواني ، فاقة القلوب لا الجيوب ، وفاقة الروح لا فاقة المسوح . وفاقة المبادىء والاخلاق لا فاقة الخاتم البراق ، والقصر والرواق ..

وانما الفاقة فاقة الوجدان لا فاقة الطيلسان والذهبان ، ومن تواضع للحق والوطن ، ارتفع واعتصم ..

. . .

ويمضي شاعرنا فرحات في تأدية رسالته الوطنية الى جانب رسالته الشعرية ويطغى في خصومته السياسية للمنحرفين ، ويتنكر للاصدقاء المتقاعسين ، ويرميهم طورا بقوافيه المسددات ، وتارة بسخرياته اللاذعات ، ويسير الى ابعد من هذا فلا يعاشر ولا يعامل الا من تسعرت في صدورهم نيران الوطنية ، والحمية القومية مع ان مهنته التجارية تقضي عليه بالمجاملة أو المهادنة على الاقل ، وكأنه يأبى الا أن تطارده تلك ـ الفاقة المثالية المحببة التي كانت اطارا لرسالته الوطنية ، وبالتالي جناحا الى الصفاء والصوفية .

قابله يوما أحد اصدقائه القدامى وعاتبه لانقطاعه عن زيارته ومعاملته بعرض رواميز المصانع التي يمثلها وختم عتابه قائلا : ألا يعجبك امضانا التجاري حتى تتحاشى زيارتنا ومعاملتنا ؟

فضحك شاعرنا وأجاب بصراحته الساخرة اللاذعة ـ امضاك التجاري زين . وعلى الراس والعين . أما امضاك الوطني فوالله شيء ما بيسوى قرشين ...

فأطرق الرجل ساهما ، ثم رفع رأسه وقد انبسطت اسارير وجهه واجاب : زرني ولك مني فاتورتان ... فاتورة وطنية لفلسطين ، وفاتورة تجارية لك ...

ورضي فرحات عن صديقه القديم وصافحه بدمعة ترقرقت في عينه .

. . .

ولعلي لا أفشي سرا اذا قلت ان شاعرنا فرحات ، عندما اقتادته يد الجمهورية العربية المتحدة ـ باقتراح مؤزر قدمه النائب السابق الاستاذ

عبد اللطيف اليونس صديق المغتربين ـ لزيارة مسارح احلامه ، تكريما لشاعريته ووطنيته ، في ضيافة سخية مترفة باذخة عزت على كبار السفراء والامراء واصحاب الطفراء ، باع الدار الوحيدة التي يملك ، وهي ثمرة كفاح طويل عنيف عنيد . نعم باع الدار التي طوّفت فيها الاشباح مخضوضلة بالعرق ، وتناثرت على جدرانها أشلاء الشباب والكهولة . وعصفت في مخادعها زفرات الزند المنهوك والعزم المفلول . باعها غير آسف على حصيدة خمسين عاما ، على حصائل العمر ، ليضم الى جانب الضيافة الرسمية بضعة اشهر اخرى يقضيها في هياكل أحلامه والهامه . ومرابع حنينه وألحانه ، حيث يتلمس رؤاه تنبض حياة وقوة وانطلاقا ، وحيث يلقى فرحات الكهل فرحات الطفل ، فيتعانقان ويتناغمان ويتناغيان وقد رأى الطفل نفسه كهلا ، ورأى الكهل نفسه طفلا ... فتنتفض في صدر الشاعر نجوى الاقمار ، وحنين الاوتار ، وشدو الاسحار . وما كان فرحات في اغاريده الا سماء وسحابا . وخمرا وحلابا . وصبابات عذابا . وايمانا وغلابا . وسيوفا عرابا ...

هذا هو جو شاعرنا فرحات ، بل لعل ابرز خصائصه انه غير معقد ، وغير متزمت أو متنصح أو متعمل ، وانما يطلق نفسه على سجيتها وطبيعتها هائمة في معابد الجمال ومعاقل القومية ، ولا غرو أن تنعكس حياته على شعره ، وان ينعكس شعره على حياته وأحاسيسه ، فما جاشت قوافيه وتجنحت الا بعد تجربة عميقة وانفعال نفساني عاصف . وعسير بعد هذا أن نقع في شعره على مناسبات وتملقات ولكننا نقع على مخاض فكري وولادات ، فانتفاضات باكيات أو مغردات أو مستنفرات وهنا يكمن سر الشاعرية والشعر .

. . .

ايها السادة ـ على أثر زواج شاعرنا فرحات بعقيلته الفاضلة السيدة جوليا أم خالد التي تمت بنسبها الى أسرة النابغة العبقري جبران خليل جبران ، كان يطرق مسامعها عبارة يرددها اصدقاء زوجها في معرض اقتراحهم عليه نظم قصيدة ، وهي : سويلنا شي بيت ... سويلنا شي بيتين ... والمقصود بالبيت ، بيت الشعر ـ أما أم خالد التي ولدت في البرازيل ، ونشأت في بيئة برازيلية تقريبا ، فكانت تفهم البيت بمعناه الدارج أي بيت السكن .

وبعد سنوات ضاق المنزل عن استيعاب الاسرة النامية ، وتذكرت ان اصدقاء زوجها كانوا دائما يسألونه ـ سويلنا شي بيت ... سويلنا شي بيتين ... فتشجعت وقالت له : بشوفك بتسوي بيوت للناس ، ليش ما بتسويلنا شي بيت النا ، بيتنا صار صغير ...

وضحك فرحات واجابها ـ بيت الشعر يا أم خالد ، غير بيت السكن الاول يبطلع من القلب والراس ، والثاني من الجيبي ، وجيبتي أنا متل مابتعرفي ...

فلم تصدمها هذه الخيبة ، بل رفعت اليه نظرات ملؤها الحنان والاعتزاز واجابت : معليش .. بيتنا كويس ، ومندبر حالنا ...

والواقع ايها السيدات والسادة ، ان الشاعر فرحات كان يبني . انه لم يكف قط عن البناء . كان يبني لك ياسيدتي ام خالد بل كان يبني لامته العربية بابياته الشعرية ، بومضات خياله وبيانه ، بوثبات جنانه . بانتفاضات وجدانه . بعندلة قوافيه ولسانه . كان يبني ما هو اسمى من بيت ، وارفع من قصر ، وارحب من صرح ...

كان يبني لامته وراء البحار ، دنيا من المجد ، هي دنيا العروبة ، دنيا الثورة ، دنيا الحرية والنور والجمال ، وأعظم بها من بناء خالد ، وتراث معطار آبد ..

ولا غرابة في ان يبني ، فهو ابن كفر شيما اللبنانية الشماء الحصداء . ابن حقل الفضة المخصاب المنجاب الذي اطلع في دنيا العرب ، فراقد اللغة والعروبة والعلم والصحافة والادب كالشيخ ناصيف اليازجي ، ونجله الشيخ ابراهيم الذي استنفر العرب في العهد العثماني ودعاهم الى الاستقلال في بائيته وسينيته المشهورتين ، فكان شاعر القومية العربية الحديثة الاول وكالدكتور شبلي شميل العلامة المفكر ، وآل تقلا مؤسسي (الاهرام) كبرى الجرائد العربية وأمها .

والحديث عن شاعرنا فرحات يطول ويطول ، ولكن حسبنا من الروض عبيره المتبول ، وجناه المعسول ، ومن البلبل شدوه المكحول ..

أما انتم ياسيادة وزير الثقافة والارشاد القومي ، اما انتم ياسيادة الاستاذ رياض المالكي ، فقد تمنيت ، وانا في رحاب نادي الضباط ، في

عرين الاسود ووكر النسور ، القي كلمة المغتربين في مهرجان شاعرنا فرحات تمنيت والله لو ظفرت بلسان متدمشق ، وبيان متألق ، ونفس متدفق ، وزند متعملق ، اذن لمددت باعا الى الثريا ، يعربيا عليا . واقتطفت من نجومها عنقودا . وصنعت منها قلائد وعقودا . ونسجت من شعاعها معاطف وبرودا . وشعارات وبنودا . وقد تنضدت في ثناياها آيات الشكران تنضيدا . مغردة تغريدا . متهللة تعظيما وتكبيرا . لوحدتنا العربية ، وجمهوريتنا الباسقة الفتية . وقائدنا الملهم الظافر ، جمال عبد الناصر ..

فما تكريم شاعر المهجر فرحات ، سوى رمز الى تكريم المغتربين ، وسوى آصرة جديدة تشد الظاعنين بالمقيمين . والتفاتة كريمة ترقرق فيها الحب والحنين ، والاعجاب بأولئك الابناء الميامين . وبالشكر تدوم النعم . ولئن شكرتم لأزيدنكم . وانا لله لشاكرون . وانا بوحدتنا العربية لمؤمنون .

حمص ٤ حزيران ١٩٥٩ — **نظير زيتون**

الطائر العائد

قصيدة الشاعر

الاستاذ نديم محمد

تململ في أعين الجاهلين سؤال .. فيبدهني حائرا
الشاعر الدل أن يجعلوه نبيا على أمرهم ظاهرا
اذا استكبرت معجزات البيان وجل النبي استوى شاعرا
ودامي الجراح اذا هجته تغنى فكان اللظى هادرا
له النسب الحر لا باهتا وراء الظلال ولا ضامرا
الح على قلبه سائلا وشد على جرحه عاصرا
فأعطى وروّى أعز الجنى وأغلى الغدا ساخيا ناصرا
روى مضجع الشمس في عينه حكايا المنى رغدا هامرا
فلمّ عن الحلم أجفانه وضج الاباء به ثائرا
كفى العربي سريُّ الاباء وأكرم به نسبا طاهرا
أيغرقه في الهوان النعيم فيغضي على ذله صاغرا ؟!
وجنت قواف ويسكر لحن فيجري بهن دما فائرا
قصائد راعفة باللهيب هوادر لا ترهب الصافرا

فما انسكب اللحن الا سقى غليلا على ضلعه زافرا
ولا رهجت ساحة لم يغض على رهجها لهبا زاخرا
تنام الكلوم على جمرها ويبقى مهدهدها ساهرا
تهادر في الجو غيظ الرياح فمر على غيظها طائرا
وهز جناحيه نحو النجوم وشق بها دربه عابرا
عزيز على النسر وطء السفوح وقد الف الراسخ العامرا
نسيت محاضير عيني وكنت لطائف غمضتها ذاكرا
غريبين كنا وراء البحار أخا هاجرا وأخا هاجرا
أما وهوى الارز والغوطتين يمينا حلفت بها جاهرا
ذكرنا ولم ننس ارض الحدود ولم ننس حيا ولا سامرا
ولا ريفنا ملعب الساجعات ولا الحقل والسنبل الناضرا
ولم يخفض البغي منا جناحا تصعّد مستعليا زاجرا
ولا غض ناظرنا للقوي ولو غض نفقأه ناظرا
أخي في الجراح شكانا الحديد ولا نشتكي حره الساعرا
ومن يتقي عثرات الحظوظ فلا نتقي حظنا العاثرا
فنحن الرياحين يغلونها ويرمونها حطبا خاسرا
ونحن مصابيحهم في العشي ويطفئها صبحهم سافرا
ونطعمهم حب أكبادنا ويأكلنا جوعهم كافرا
خطونا على شوكهم فاستراح على شدقه دمنا ساخرا
وكم شربوا دمعنا المشتهى وكم نشقوا آهنا العاطرا
ترف خطاهم عبيرا وظلا وغيما على زرعهم ماطرا
وهم بنا بطشهم فانبرى له عزمنا مازقا ناثرا
يقولون عنا اسارى الخيال فهل جربوا صنعنا الظافرا
وهل عرفوا الله الا بنا وهل كان الا بنا فاطرا
خلقناه في قلبنا رحمة وشئناه في روحنا خاطرا
فمن علم الحسن أن يزدهي ونمنمة ألقاً طافرا
ومن صب للروح في الناي خمرا ومن جعل الباهر الباهرا

ومن اترف الذوق . من لون الحس وسوى وأسمى الهوى غافرا
ومن صوّر الحق حقا فأمسى وأضحى بنا ربه قادرا
ألسنا الذين صنعنا الحياة وصفنا القوى نغما ساحرا
نخوض البحار ونرقى الكواكب جهدا ، يذمونه ، بائرا
ونبني ونهدم عزا يطول وملكا على أهله جائرا
ويطمرنا العيش خلف التراب وقد غصبوا عيشنا الوافرا
يصدون عن آينا .. مطرفين باحسانها الاحمق الهاذرا
صنعنا الوجوه بأقلامنا فمال مصعرها دائرا
بلونا البقاء ضياعا وفقرا وجمرا على جرحنا صاهرا
بقاء نذرنا له الغاليات فأرخصنا جاحدا ناكرا
أخي في متاه الجراح الرهيب دما ثائرا وفما باسما
لنا وطن حقه أن تحل على ناره كاسيا طاعما
أعد له البغي ناب الحديد فالقمته عزمك الصارما
وأشهد مارغت في العاديات ولا كنت عن بأسها نائما
ولا خلبتك الحوالي الرطاب فطوّفت في ظلها حالما
توهّج في رحبك سحر البيان فرعت به الحلك الجاثما
ملاحم تزأر فيه شرارا وسيلا تهدّره عارما
واومن بالشعر نارا واحرق وجهي على جمرها ناعما
بلادي أحبك نصلا تغوّر في أضلعي ودجى قاتما
أحبك يعرى ويدمى جناحي على السفح مرتميا راغما
أحبك ضعفا يهد سلاحي وفقرا على موردي حائما
أحبك موتا .. كفى أن تعيشي ويبقى هوى امتي سالما
أخي في متاه الجراح الرهيب فماً باسماً وندى غامرا
دعاك الى صدره مثخن ينهنه من دمه صابرا
يحن ثراه الى شمخة يُدل بها مائجا مائرا
فأنزله الحب في أهله وكان الهوى قادرا قاهرا
خبرت فحدث عن الغادرين حديثا يرد الصبى حاضرا

فأبصر كيف استطال الظلام وغشّى دجاه الضحى الزاهرا
وكيف تمص الذئاب الدماء وتروي بها النهم الفاجرا
وكيف تروع الامين الوديع ولا تبدر الهائج الكاسرا
فكم خضب الغرب أحقاده بآلامنا ظالما آشرا
وأخرس بلبل أعراسنا وغنّى لنا خاتلا ماكرا
وكم لطّ الزهو في صبحنا وقنّعه رائغا سادرا
وقطع أثوابنا في الظلام وللم أذياله سائرا
فهل أقعدت ربوة صاعدا وهل كبحت لجة ماخرا ؟ !
يميننا بأسمرنا لن نكف عن الموت او نسحق الغادرا
بلادي ويكرمني باسمها ندائي .. فأرجعه شاكرا
فطرت على حبها أغنيات هي الخمر من كبدي قاطرا
أسلسلها عبقا سافحا مرقرقة .. ذاريا ناشرا
وحينا أفجرها عاصفا يجلجل في ساحها زائرا (*)
وتنزف حينا دما يتهاوى على وردها خاضبا عافرا
فلا سلمت رأفة في الجهاد ولا مشربا في الصدى فاترا
بلادي احبك لا زاهيا بيسرى ولا رهقا حاذرا

١٩٥/٦/٤ نديم محمد

(*) من الزئير .

الياس فرحات

الشاعر والحكيم والعروبي

بقلم

الدكتور ابراهيم كيلاني

ماكادت الطائرة التي تقل فرحات وزوجه تحط في ارض المطار حتى هرع مستقبلوه يتفرس كل واحد منهم في وجوه النازلين علّه يكتشف الشاعر فرحات فتكون له اسبقية الدلالة عليه .

كانت دهشة ، وكان ذهول ، فعوضا عن أن يشهدوا شيخاً هِمّاً ، متعباً ، أضناه السعي ، وأجهدته الهجرة فأتى ليلقي بأثقال همومه على أرض وطنه ، فقد شهدوا رجلا يهبط السلم بخفة الشباب ووثبة الرياضي ، ولم يكد يحيط به القوم حتى فارقه ما يعتري القادمين عادة من تأدب واستحياء وتجمل ، فقد كان يسأل هذا ، ويجيب على أسئلة ذاك ، ويداعب الآخر ، يتلقف النكتة من الهواء فيرد عليها بمثلها أو أحسن منها ، فعلمنا عندئذ أننا أمام شخصية جذابة ، محببة تكمن فيها طاقة وحيوية لم يقو المهجر على شدة وطأته استلالهما او استنفادهما .

ان كل شيء في هذا العصامي يوحي بالقوة والرسوخ ، رأس ضخم قائم بين كتفين عريضتين ، يحمله جسم متماسك ، متين البنيان ، ثابت القدمين على الارض ، ثبات المصارع في الحلبة ، وعينان براقتان غارقتان في محجريهما تعلوهما جبهة محدبة عريضة كأنها بناء حجري نحت بالازميل فيها شيء كثير من معاني التحدي وحب المقارعة والنضال .

ان هذه الصفات الجسمية تقابلها أخرى معنوية فتتحد جميعا لتبرز أهم ما في شخصية فرحات كمتانة الخلق ، وتقدير الذات ، والانفة من الذل والسكون والاستكانة وعدم المبالاة بالمخاطر والاهوال ، وتلك مسالك تقود بدورها الى تعشق الحرية ، والتحلل من القيود ، والتمرد على كل ما يحول دون تحقيق الرغائب الاصيلة واكتمال الشخصية وانسجام أجزائها .

ان حياة فرحات ونشأته ومزاجه انعكاس لهذه الظواهر ، قال : «عندما كنت في الوطن ، كنت أعيش كما أريد ، فقد كان أبي وأمي يتساهلان معي ، أعمل ما أشتهي وأذهب الى حيث أرى ـ فالت على رأسي ـ وهكذا فقد نشأت حرا ، لا أطيق القيد مهما كان خفيفا ، لهذا لم تطل اقامتي عند اخوتي ، لانني شعرت ان ارتباطي بعمل تجاري في محل لا أكاد أفارقه كارثة عليّ ان أنجو منها ... وكانت هذه نزعتي التي نشأت عليها قبل كل شيء » .

ولد الياس فرحات في قرية كفرشيما جنوب شرقي بيروت سنة ١٨٩٣ ، ومن يطالع أخبار طفولته ، وما تركته فيه من أثر يجد أنه كان ينزع بدافع الفطرة الى تقليد الكبار تعجلا منه للرجولة قبل أوانها ، وقد هيأت له ظروف بيئته الاسباب لتفتح مواهبه المبكرة واكتساب التجارب ومكنته من اختزان المشاهد والصور عن طريق المحاكاة والامتصاص الذهني والعاطفي ، وكان يقول : « لا أذكر من طفولتي الا أنني كنت ولدا كالاولاد الذين يلعبون في ساحة الرملية التي كانت تعقد في دكاكينها مجالس الرجال ، وأذكر أني كنت محبوبا من هؤلاء لشدة حافظتي و ... خفة دمي ! وكان اذا جاء النوَر الى الساحة فرقصوا وغنوا بلغتهم المخلوطة ومضوا دعاني الرجال الى تقليدهم فرقصت وغنيت بتلك اللغة بدون أن أفهم منها حرفا » .

ومن الطريف حقا الا يصحب هذه المواهب الآخذة في التفتح دراسة منتظمة ، ولم يكد الطفل الياس فرحات يتعلم القراءة في مدرسة «الضيعة»

حتى تركها وله من العمر عشر سنين ، وكان هذا آخر عهده بالتعلم ، وقد سببت له هذه الفجوة العميقة في دراسته متاعب ومشقات ظل يعانيها ويغالبها طوال ثلاثين عاما ، انها لصراع عنيف بين الموهبة وأداة التعبير ، فكأن مواهبه الحبيسة التواقة الى الانعتاق والافلات والتجسيم لم تجد منفذا سوى اللجوء الى الوسائل التعبيرية العفوية فأخذ ينظم المعنّى والقرّادي والشعر العامي ، ثم تدرج الى الشعر الفصيح على الرغم من جهله قواعد النحو والصرف والوزن والقافية ، وقد رويت له حوادث في هذا الصدد قال : « قال لي أديب عربي : علمت انك تنظم الشعر فهلاّ أسمعتني شيئا من منظومك ، وكان في جيبي قصيدة حديثة النظم كنت أظنها آيتي ، فمددت يدي اليها فأخذتها وقرأت :

ضروبا من الاهمال حمّلني دهري وجر علي الهم والذل والقهر

قرأت البيت وأنا أنظر في وجه محدثي لأرى كيف يكون تأثيره عليه ، فلما سمع العَجُز ضحك ضحكة جمدت الدم في عروقي ، على أنه لم ينتظر أن أسأله عن سبب ضحكه بل بادرني بقوله : ان العَجُز كله غلط ! ثم يقول فرحات : « اني بعد هذا الدرس لم أقع في غلط الفاعل والمفعول ، فكنت كلما نظمت بيتا تذكرت هذا الدرس وحافظت على القاعدة ! » .

وكان الشاعر القروي يقول له معرّضا بجودة نظمه وضعفه في اللغة :

« ان احسن ما في شعرك انك تنظمه ولا تعرف أن تقرأه » .

ويعقب فرحات على هذا بقوله : « ذلك لاني أجهل أبسط قواعد الاعراب » . على ان ضعفه في علوم الآلة لم يحل دون مثابرته على النظم واستكمال النقص اللغوي ، ولا بأس عليه ما دامت عنده الصفة الاساسية وهي الموهبة ، ألم يقل الجرجاني في الوساطة : « ان الشعر علم من علوم العرب ، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له » . وقد سار فرحات في نظمه بالفصحى على طريقة الاصطفاء والوصول للكمال بالجهد الطويل والتنقيح الشديد والتشذيب الزمني قال : : « ان كل شعري المطبوع نظم بعد الحرب الكونية الاولى ، فقد أتلفت كل مانظمته قبلها وبعضا مما نظم بعدها ، حتى لأقدّر أني أتلفت من الشعر أضعاف

ما ابقيت منه » . وقد افادت هذه العملية الانتخابية الشاعر في نقله من مرحلة الغموض التعبيري والرجرجة والضعف الى مرحلة التمكن والوثوق بالنفس وتكامل الصنعة الفنية .

ولا ريب في أن نزوعه المبكر الى القول ، وتسرعه في نشدان اداة التعبير عن موهبته الشعرية ، وعدم تريثه لاستكمال العدة واتقان اللغة قد عمل على تأخير نتاجه الشعري ، فكان أول ما أرسل الى كفرشيما زجلا نظمه سنة الف وتسعمائة وعشر ، وبعد مرور ثلاثين سنة ارسل الى ضيعته أبياتا بالفصحى يقول فيها :

اني لألمح من خلال دموعي ... صورا ، طواها البين بين ضلوعي
صورا يجسمها الخيال مضاعفا ... عطشى لرؤية من أحب وجوعي
أربوع أحبابي لأنت وان نأت ... بي عنك مركبة الزمان : ربوعي
أنا في الخريف، وما ذكرتك مرة ... الا شعرت برجعة لربيعي
يا من بيقظته يزور حبيبه ... اني أزور أحبتي بهجوعي
طال الفراق ولم أزل متمسكا ... جهلا بحبل سعادتي المقطوع
أعدوا الى أمنيتي عدواً وما ... أمنيتي الا وشيك رجوعي

وفي هذا مصداق لقول سعيد عقل : « لا وجود لأية شرارة جمال الا ووراءها عمر من التحضير والكد » .

ان الشاعر لا يمتح صوره وافكاره من العدم ، فان وراء كل نتاج أدبي مهما تعددت ألوانه وصفاته تأثيرات مكتسبة وآثارا وتجارب وذكريات واقعية ، بعيدة كانت أم قريبة ، لان الابداع الشعري بحاجة الى غذاء ، ولكي يبدع الشاعر وجب عليه أن يغذي فكره ومخيلته بالمقروء والمنظور والحوادث الموحية والمثيرة والرؤى ومشاهد الوجود ، على أن يتمثل كل هذا في وعيه الشعوري واللاشعوري ثم يبرزه بعد عملية خفية ، بطيئة ، في شكل جديد عليه طابع الابداع وسيماء الخلق .

وفي الحق فان تجارب الحياة وظروفها القاسية قد أمدت فرحات بعناصر غنية عملت على تكوين شخصيته الادبية وصقل موهبته الشعرية فمن روائع قوله في الاشارة عن مصادر شعره ومنابع وحيه :

يقولون : عمن اخذت القريض ... وممن تعلمت نظم الدرر
وأين درست العروض وكيف ... تلقفت هذا البيان الاغر
وما كنت يوما بطالب علم ... فانا عرفناك منذ الصغر
فقلت : اخذت القريض صبيا ... عن الطير وهي تغني السحر
وعن خطرات عليل النسيم ... يمر فيشفي عليل البشر
وعن ضحكات مياه الجداول ... فوق الجلامد تحت الشجر
وعن زفرات المحب الاديب ... يزاحمه الموسر المحتقر
وعن نظرات الحسان اللواتي ... يكدن يفلغلنها في الحجر
وعن عبرات الحزانى الضعاف ... ففي عبرات الحزانى عِبر
لئن كنت لم أدخل المدرسات ... صغيرا ، ولا بعد هذا الكبر
فذا الكون جامعة الجامعات ... وذا الدهر استاذها المعتبر
ففي المبكيات بيان جميل ... وفي المضحكات معان غُرر
وفي كل ما يبصر المبصرون ... دروس تنار بهن الفِكر
فمن يحيَ يوما ولا يستفيـ ... ـدْ ، أعمى البصيرة أعمى البصر

نزح فرحات الى المهجر كغيره من ابناء وطنه « مستجيرا مسترزقا » حاملا معه الى جانب آماله في الربح والاثراء مثالية زاهدة في متع الحياة ، وقد حاول عبثا التوفيق بينهما فتمت في النهاية الغلبة للنزعة المثالية على المادية ، على أن افلات فرحات من براثن المادة وولوجه عالم الحلم الشعري والخيالات والرؤى لم يتم دون مأساة تخللها تجاذب وتمزق وحيرة وصراع بين الروح الشاعرة وعالم المنفعة الذي هو عالم الخوف والقلق والحاجات والتطلع الى المستقبل مما يقضي على الشعور الجمالي ويبعد عن منابع التأمل والحلم الشعري ، ولذا كان طبيعيا على فرحات وغيره من المثاليين أن يتيهوا وسط مدنية آلية تعبد عجل الذهب ، وأن يمنوا بالاخفاق فيما رحلوا من أجله ، ولم يفت شاعرنا أن يعرض علينا في قصائد ومقطوعات رائعة صورا عن طغيان من المادة على النفوس ، وضياع الشعر عند غير أهله ، وبؤس الاديب وهوانه وعجزه عن تحصيل الرزق وسط المكائد الدنيوية التي تجرعه المر وتحمله على السير فوق الاشواك ، قال :

وهل يستقيم النظم والنثر لامرىء ... يبيع ويشري مرغما ويساوم
ومن ذا الذي يمسي على اللفظ حائما ... وفي صدره همٌ على القلب حائم
ووالله لولا فطرة ما لدفعها ... سبيل ، لأنستنا الهجاء اللوازم

وقال محذرا من دنس المادة ومزهّدا فيها :

ياشاعر العرب احذر أن يقال غدا ... كُحل التجارة أعمى شاعر العرب
سر في سبيل العلى الشوك منفردا ... وليذهب الناس أفواجا مع الذهب
أن التجارة للاخلاق مقبرة ... اما النسائج فالأكفان للادب
أن ضاق عيشك كن مساح أحذية ... لا تاجرا يغتني بالغش والكذب

ومما كان يزيد في حزن الشاعر نظمه الشعر في بيئة أعجمية أو بين أثرياء أغبياء لا يفهمون الشعر ولا يتذوقونه ، وليس أشق على الاديب من أن يعدم صدى لروحه ، ورجعا لصوته قال :

فكيف يعز الشعر في دار غربة ... كأن فصاح العرب فيه طماطم

وقال :

انّا قضينا كل أيام الصبا ياجارنا
في غربة طالت فقصّر طولها أعمارنا
نزجي لغير الفاهمات شعورنا أشعارنا
فنضيعها واخالُ أنك مقتفٍ آثارنا

ولعل من أجمل ما قيل في تصوير كفاح الاديب في البيئة المهجرية ومغالبته للطبيعة وما يلاقيه من العنت في سبيل الرزق قول فرحات من قصيدة مؤثرة عنوانها « حياة مشقّات » يصف اشتغاله بالتجارة وضربه في الفلوات والمجاهل البرازيلية :

طوى الدهر من عمري ثلاثين حجة ... طويت بها الاصقاع أسعى وأداب
أغرّب خلف الرزق وهو مشرّق ... وأقسم لو شرّقت كان يغرّب

لى أن يقول :

ومركبة للنقل راحت يجرها ... حصانان : محمرٌ ، هزيل وأشهب
لها خيمة تدعو الى الهزء : شدها ... غرابيل ، أدعى للوقار وأنسب
جلست الى حوذيها ووراءنا ... صناديق ، فيها ما يسر ويعجب
حوت سلعا من كل نوع يبيعها ... فتىً ما استحل البيع لولا التغرب
وراحت كأن البر بحر نجاده ... وأغواره امواجه وهي مركب
تبين وتخفى في الربى وحيالها ... فيحسبها الراؤون تطفو وترسب
وندخل قلب الغاب والصبح مسفر ... فنحسب أن الليل لليل معقب
تمر على صم الصفا عجلاتها ... فنسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق الناتئات من الحصى ... فنوشك من تلك الخلاعة نثقلب
نبيت بأكواخ خلت من أناسها ... وقام عليها البوم يبكي وينـدب
مفككة جدرانها وسقوفها ... يطل علينا النجم منها ويغرب
عليها نقوش لم تخطّط بريشة ... تظن صباغا لونها وهو طحلب
يغني لنا فيها الهواء كأنه ... ينوّمنا ، والبرد للنوم مذهب
فنمسي وفي أجفاننا الشوق للكرى ... ونضحى وجمر السهد فيهن يلهب
ونشرب مما تشرب الخيل تارة ... وطورا تعاف الخيل ما نحن نشرب
حياة مشقات ولكن لبعدها ... عن الذل تصفو للأبي وتعذب

ان حيرة الشاعر بين الحقيقة والخيال ، وتردده بين العالم الخارجي الصاخب المناوىء ، وبين الحياة الداخلية التأملية التي ينزع اليها في جو انفعالي مشحون بالشكوى والحنين الى الارض التي اقتلعت منها جذوره ، كل هذا قد لوّن الشعر المهجري في غالبيته بلون اسود تشاؤمي لم ينج منه الياس فرحات ، بل هو عنده اكثر وضوحا ، ومهما يكن من شيء فان التفاؤل والتشاؤم منوطان الى حد كبير بالوراثة والمزاج والطبع والسن والظروف ونحن اجمالا أميل الى التفاؤل عندما يكون الخط البياني في حياتنا يرتقي صعدا الى العلاء ، والى التشاؤم عندما يبدأ في الانحدار ، فان أحلام اليفاعة والشباب تحمل على الاقبال والامل ، كما أن أحلام الكهولة والشيخوخة تحمل على الانكماش والكآبة والحسرة وسوء الظن ، ان هذه الاعتبارات

تنطبق على الياس فرحات الذي لم يطلع على الناس بشعره الا بعد انطفاء شرّة الشباب وخمود جذوته في صدره ودخوله مرحلة النضج واكتمال الذات وفهم الحياة واكتناه نواحيها الخفية وفواجعها المخيفة ، الم يدعُ الناس الى هجر المحيط المدني الفاسد والفرار الى الغابات حيث العافية وسلامة الروح والبدن :

خذني الى الغاب واتركني أعش زمنا ... مستمتعا بسلام النفس والبدن
فما أخاف نيوب الوحش فاتكة ... كما أخاف لسان الناطق المدني
ان المدائن في مجموعها دمَنٌ ... أما الرجال ، فأدياك على دمن
يقضون حاجتهم منها وأرفعهم ... صوتا اذا صاح : أرواهم من الأسن

أما الحياة في نظره فهي :

هذي الحياة وانت تعرفها ... غرّارة في السر والجهر
فالغدر بالاخلاص مختلط ... والعهر ممتزج مع الطهر
والشوك ، شوك الورد مستتر ... للختل خلف نواضر الزهر
والناس أقدار تجمّعها ... الاقدار تحت أظافر الدهر

كان محصول فرحات في حياته ، كالمتنبيء ، حكما رائعة أودعها رباعياته وصف فيها الناس منتزعا الاقنعة عن وجوههم ، مشيرا الى ضعفهم وتهافتهم ونذالتهم ولؤمهم ، محاولا ان ينتزع من الطبيعة الانسانية مشاهد واسرارا نسج منها مادة حكمته ، ومن أقواله الرائعة :

لايقفل البشر الابواب ان رقدوا ... خوفا من الدهر بل خوفا من البشر

وقوله :

والمرء وهو يداوي البطن من بشمٍ ... يسعى ليسلب طاوي البطن ما جمعا

وقوله :

يا من يحاول أن يلغي بقوته ... حكما أصر على تنفيذه القدر
لِنْ للزمان متى اشتدت عواصفه ... ان الغصون اذا لم تلوِ تنكسر

وقولـه :

والحظ يخدم بعض الناس عن عَمَهٍ حينا ويخذل كـل الناس أحيانـا

وقولـه :

لو يعرف الكبش أن القائمـين على تسمينه يضمرون الشـر ما أكـلا

وقولـه :

ان كنت تطلب نفعا مـن مودتهـم فالنفع أجمعُ أن تنجو من الضـرد

نظم فرحات معظم رباعياته بعد انقضاء الثلاثين من عمره ، وكان قـد نظم جزءا منها في سن الشباب ، وقد يتعذرعلى الناقد اكتشاف الفرق بين الفترتين ان في الروح أو الاسلوب ، كأن فرحات دخل معركة الحياةومعه رصيد من الحكمة والتعقلينجده فيالمآزق ، وينفخ فيهعزما يقيهالتردي في شراكالناس ، وفي مهاوي العطب واليأس، كما يتيحله ولقارىء رباعياته أن يفرغ شحنة قلبه مـن التمرد والسخط على سنن الحياة ومتناقضاتهـا ، والناس ابدا مفطورون على حب الحكم والتمسك بها ، فهي زبدة التجارب وحصيلة تفكير الحكماء والعقـلاء ، تثروها على الناس في شكل دساتـير لتؤنسهم في مواقف الفشل ، وتعزيهم عندما تبهم الامور وتستعصي عليهم الحلول وقديما قيل : صاحب الحكم رجل مسلح ، والحكم عند الانسـان كالسياسة للدولة .

ومن حكمه الرائعة محددا اسس فلسفته السلوكية ونظرته للعالم :

فيـم التقاطع والاوطـان تجمعنـا قم نغسل القلب مما فيه من وضر
ما دمت محترما حقي فـأنت أخي آمنـت بـالله أم آمنـت بالحجـر

وقولـه :

تعويـد كفيـك الصـلاح أبرّ مـن تعويد رجليـك الوقوف بمسجـد
انـا لا اصـدق أن لصـا مؤمنـا أدنى لربـك مـن شـريف ملحـد

وقولـه :

قتلوا أساطير أسلاف الورى فنرى جهـلا غريبا وخلطـا في الديانـات
والجهـل والخلط ما زالا كمـا عرفا منذ الوجود سوى بعض اختلافـات
هذي عقول بني حـوّاء ما برحـت عميـاء تسبـح في بحر الخرافات
انّـا ضحكنـا من الماضي ولا عجب ان كـان حاضرنـا أضحوكـة الآتي

ولئن خاطب فرحات في رباعياته عقول الناس وأفهامهم فقد خاطب في دواوينه الاربعة عواطفهم وأحاسيسهم ، ولئن تجلى في رباعياتـه شاعرا حكيما خبر الحياة حلوها ومرها ، فقد بدا في دواوينه شاعرا غنائيا ، واذا كانت الغنائية انعكاسا للوجود من خلال روح الشاعر ، فان الشعر الغنائي فن التعبير في اطار الذاتية عما في الكون من مظاهر وأسرار واشياء ينحني عليها الشاعر ليبرزها مغلفة بحرارة قلبه ومغشاة بانفعالاته الوجدانية التي تثير فينا الحماسة والنشوة وتفجر المشاعر النبيلة التي تزيد في قيمة الحياة وبهجتهـا .

ان بعضا من شعراء العربية سجناء فرديتهم ، بل سجناء « الأنا » لا يتعدونه ، يحللونه بدقة ويترصدون خلجاته الخفية ليصفوها ، ان هذا من الشعر ولكنه ليس الشعر كله ، فان بقاء الشاعر ضمن حدود « الأنا » يجمّد الحياة حوله ، ويفقده فرصة التجدد والتنويع ، فهو يدور في حلقة من العواطف والافكار تضيق وتضمر شيئا فشيئا فلا بد له اذن من التوسع والامتداد خارج حدود هذه الفردية ، فهناك شعر ذو صلة وثيقة بحيـاة ناظمه وهناك شعر أوسع آفاقا يتناول موضوعات فلسفية او اجتماعية او سياسية او قومية يكون الطابع الغنائي فيه تعبير عن عواطف ذاتية ممتزجة بعواطف جماعية في اطار انساني عام . قال الشاعر هوغو عندما نظم ديوان التأملات : « انها مصير انسان كتب يوما فيوما ، هل هي قصة حياة انسان ؟ نعم وحياة الناس جميعا ، اذ لم يكتب لاحدنا أن تكون له حياة خاصة به ، ان حياتي حياتكم وحياتكم حياتي ، انتم تعيشون ما أعيشه ... آه منـك يا عديم الحس الذي يظن انني لست هو ! » .

ان أصالة الشاعر ليست في تفرده فحسب بل في قدرته على ايقاظ الاستجابة العاطفية والفكرية عند الآخرين ، ومن هنا أوجبوا على الشعر

الغنائي أن يتجاوز عالم الفرد للوصول الى ذلك الاساس الراسخ المشترك الذي تتلاقى فيه وتتجاوب عبر الافراد والعصور جميع أماني الانسانية وآمالها .ان نفاذ الشاعر من طوق الذاتية الى مجال القضايا الكبرى التي تشغل الناس في زمن الشاعر لدليل على غنى الشاعر واكتمال شاعريته فالشعر قبل كل شيء احتجاج صارخ فهو صوت الثورة ونذيرها يستمد واياها غذاءهما من نزوع الجماعير الى الحفاظ على القيم التي جهدت الانسانية في الدفاع عنها وصيانتها من عبث الطغاة وعصف قوى الظلم العمياء ، ومَن غير شعراء المهجر اولى بان يرفع الصوت بتمجيد الحرية في بلاد الحرية ، واستنكار الظلم وتصوير آلام الوطن وعذات بنيه والدعوة الى حياة حرة كريمة ، حتى بات الشاعر هناك يعيش حياة مزدوجة الاولى مهجرية والثانية وطنية او كما قال عريضة :

أنا المهاجر ذو نفسين واحدة تسير سيري وأخرى رهن أوطاني

ومن يتصفح ديوان فرحات يجد فيه قصائد تضج بالشعور القومي وحب العروبة وأهلها والدعوة الى الوحدة القومية « دعوة مخلصة بمنطق معقول وحماسة واقعية » . وقد بلغ من حساسية شعراء المهجر انه لم تكن تحدث حادثة في أية بقعة من بقاع الوطن العربي على اختلاف اقطاره وتباعد دياره الا وجدت عندهم صدى لها وتعبيرا ، ألم يقل فرحات عن الثورة السورية : « كانت نار الحماسة في صدري تضاهي نار الثورة في ديار الشام » ألم يجعل حب بلاده وقوميته مقياسا حتى في العلاقات الشخصية :

يقولون لي صادق فلانا فانه أخو نجدة يرجى لساعة ضيق
فقلت لهم هذا صحيح وانما عدو بلادي لن يكون صديقي

انه شاعر قومي أحب أمته ، وعشق الارض التي ولد عليها ، فأوحى اليه الحنين اليها بأرق الشعر وأعذبه قال من قصيدة يتغزل بعروبته :

دار العروبة ، دار الحب والغزل هاجرت منك وقلبي فيك لم يزل
هلا مننت بلقيا استرد بها فجر الشباب فشمس العمر في الطفل
هذي الغريبة ما زالت تقبلني والسم يقطر من أنيابها العضل

والله يشهد اني كلما رجعت ... مني اليك الصبا حملتها قبلي
انت الحبيبة لا هذي التي زرعت ... فيّ المشيب فلاح اليبس في السبل
الحسن فيها جديد وهو مبتذل ... والحسن فيك قديم غير مبتذل

ويقول مدحة غراب : « وطن فرحات قطعة من الارض تحدها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا اللغة العربية ، ولا يفرق بينها اقليم او لهجة او دين او شعوبية » . ونحن واجدون في ديوانه قصائد شتى تشمل المحيط العربي كله فمن ثورة الشام الى ثورة بطل الريف الى ثورة مصر ، ومن رثاء سعد زغلول الى رثاء بطل ميسلون الى تحية الاندلس ولبنان والشام واللغة العربية وغير ذلك من الشؤون والاحداث العربية ينتظمها جميعا شعور صادق ووجدان قومي حي وايمان بالوحدة يتمثل في هذه الابيات الاربعة :

انا وان تكن الشآم ديارنا ... فقلوبنا للعرب بالاجمال
نهوى العراق ورافديه وما على ... ارض الجزيرة من حصى ورمال
واذا ذكرت لنا الكنانة خلتنا ... نروى بسائغ نيلها السلسال
ان الكنانة أمّ كل مجاهد ... حرّ كريم ماجد مفضال

هذا هو الياس فرحات انه واحد من فرسان العروبة وشعرائها على أرض المهاجر !

كلمة الشاعر في مهرجان تكريمه

سيادة وزير الثقافة

اصحاب السيادة الوزراء

ايها الحفل الكريم

يا أبناء دمشق الخالدة ، يا أبناء الجمهورية العربية المتحدة ، أيها السادة والسيدات ، أيها الاخوان

اذا كان الكلام صادرا عن عاطفة صادقة ، كان في غنى عن التزويق والتنميق ، انه يكون كالحسناء التي اغناها الخالق عن الاصباغ والمساحيق .

فاذا قلت اني أشكر لكم ، لكم جميعا ، للحاكمين والمحكومين ، للوزراء والادباء ، ولعامة الشعب ، مالقيته والقاه بينكم من رعاية وعطف واكرام ، لم أكن في حاجة الى التطويل والى ايراد الشواهد ، والى زخرفة الكلام . اني أسوق اليكم هذه الكلمة ، أقولها بسيطة صادقة ،

أقولها وقلبي على لساني ، فلولا لفتة الحكومة الكريمة لما رجعت الى هذا الوطن الساحر بعد نصف قرن من الهجران ، ولولا ما لقيته منذ أن وطأت قدماي هذه الارض المباركة من عطف ورعاية لما لبثت هنا اسبوعا واحدا ، واذن فأنا شكور ممتن لكم جميعا . وبعد فسألقي عليكم قصيدتين غير طويلتين كنت قد ألقيت الاولى منهما – بالوهم – هنا في دمشق يوم تخيلت أني هبطت دمشق وأني اجتمعت بكم ، والثانية هي التي نظمتها لهذا الموقف ، وسترون أني معكم في كل حين ، فاللقاء الوهمي لا يختلف عن اللقاء الحقيقي في كثير ولا قليل .

نحن في الشام

جددي يانفس أفراح الشباب ... واستمدي البشر من هذي الروابي
من روابي الشام من جناتها ... من أناشيد سواقيها العذاب
من عبير الزهر من ألوانه ... من نسيج الروض من وشي السحاب
كم تحملت من البين وكم ... ذقت فيه من أفانين العذاب
فانعمي اليوم بوصل واشربي ... سلسبيلا لم يكن غير سراب
دونك الفيجة فاروي ظمأ ... كان في قلبك شوقا ذا التهاب
كنت في الغربة طيفا تائها ... وسؤالا مبهما دون جواب
كنت في شط الغنى ضاحكة ... من مجانين تهاوو في العباب
كنت في الضوضاء همسا مشبها ... غصة الناي بأنغام العتاب
كنت لحنا عربيا صافيا ... في مزيج من ضجيج واصطخاب
كنت شعرا وشعورا لينا ... بين تجار وصناع صلاب
كنت ما كنت وفي ذكرى النوى ... وهي سقم صحة بعد الاياب
فاستردي في شروق الشمس ما ... أخذته معها عند الغياب
واركضي خلف فراشات المنى ... فالصبا عاد وقد ولى التصابي
لا تخالي ما نراه حلما ... انه اليقظة توحي بالصواب
متعي السمع بآيات الهدى ... وارفعي الطرف الى شم القباب
نحن في العش الذي ظللنا ... والخوافي زغب فوق اهاب
نحن في الدار التي ما برحت ... بعد شيب الدهر البكر الكعاب
نحن في دنيا جهاد حطمت ... كل ظفر سنه البغي وناب

نحن في الشام فهذا بردى ... خطه المبدع سطرا في كتاب
فاقرأيه ، تقرئي التاريخ من ... قبل حواء الى يوم الحساب
سليه كيف دالت دول ... حول شطيه وزالت كالضباب
أين من قالوا سنبقى عندكم ... أبد الدهر أغاروا في التراب ؟
أم ترى بخرهم حر الوغى ... يوم ثار العرب كالاسد الغضاب
لا نرى في الشام ما ينبئنا ... أنهم مروا بها غير الخراب
وبقايا ميعان يدعي ... أنه الرقة في بعض الشباب

• • •

ياشباب الشام في حلقي شجى ... ان تزيلوه تهن كل الصعاب
انه تلك العصابات التي ... أشبهت في الغدر قطعان ذئاب
والتي أركبها البطل على ... رقبة الحق لازلال الرقاب
والتي يدفعها في شرها ... طبعها الشرير والقاضي المحابي
انها القزم الذي يعرضه ... مارد جان كعملاق عجاب
انزلوها في حمانا عنوة ... كالرقاع السود في بيض الثياب
نظفوا بلدانهم منها ولو ... نظفوا الدنيا لفازوا بالثواب
كنسوها ورموا أقذارها ... عندنا ما بين شباك وباب
جعلوا من أرضنا مزبلة ... غصت الاديك منها باللعاب
ما حياة الديك في الدنيا سوى ... قوقآت وطعام وشراب
ودجاجات له يبدلها ... كلما عن له دون حساب
يزدهيه ريشه الزاهي فما ... عنده أدنى شعور بالمصاب

• • •

ياشباب الشام أرجو وثبة ... ترجع الحق كريما للنصاب
وتزيل العار والراضي به ... عن غباء جاهلي أو تغابي
نظفوا درب العلا من زمرة ... ترتضي قشر العلا دون اللباب
مجدها المال الذي تجمعه ... من جيوب الشعب في شبه اغتصاب
والذي تقبضه في بيعها ... ثروة الاوطان من لص مراب
والذي يهبط سرا كلما ... شاء الاستعمار تكثير الصحاب
ان هذا المجد عار جارف ... دونه السيل المدوي في الشعاب
فاصرخوا الصرخة لا يبقى لها ... من سيوف العرب سيف في قراب
واغسلوا العار بسيل من لظى ... وامنعوا الدار بسور من حراب
فاذا هذي الروابي استبشرت ... نستمد البشر من هذي الروابي

وطن العروبة آه يا وطني

ريح الصبا مرت على بردى ... وأتت ترش على الهجير ندى
فاستقبلتها العين ساجية ... وهفا اليها القلب مبتردا

ذكرا وقد نعما بيومهما ... يوما اذاب الروح والجسدا
العين كاد الدمع يغرقها ... والقلب أوشك أن يموت صدا

والبحر دون الاهل مضطرب ... لهديره بين الضلوع صدى
وكأنما أمواجه أسد ... غضبى تواكب مثلها أسدا
لو سالمتني لاحتفيت بها ... ومسحت عن أشداقها الزبدا
وسألتها نقلي الى وطن ... للحب فيه وللجمال مدى

أهلوه في عسر الزمان له ... يسر وفي ليل الخطوب هدى
كانوا لعين الفضل قرتها ... اذ كان غيرهم لها الرمدا
نفحوا العروبة من شمائلهم ... بفصاحة وشجاعة وندى
وبهمة قعساء يورثها ... مضمونة من مات من ولدا
وبمور للجود لو نفذت ... فورا مياه البحر ما نفدا
افدي اذا عز الفداء بني ... بلد له كل البلاد فدا

• • •

وطن العروبة آه يا وطني ... لو كنت كالاوطان متحدا
لأفاد منك الشرق مفتخرا ... ولحاد عنك الغرب مرتعدا

ولذاب اسرائيل من جزع ... ولضاق يهوده بما وعدا
ولراح الاستعمار منهزما ... ما دق مسمارا ولا وتدا

ولمات فصطر دلس منتحرا ... ولضاع جهد المقلقين سدى
فاستوفت الدنيا كرامتها ... واسترجع الانسان ما فقدا

• • •

ولقد اقول لمن يجادلني ... ويلومني ويلج منتقدا
فكأنه في ما يحاوله ... قين يزيل عن الحسام صدا
هو صب أمريكا ويزعجه ... اني أعد الظالمين عدى
أنا لا أمد يدي الى بلد ... جان يمد الى الجناة يدا
دفع اللصوص الى منازلنا ... ومضى يسوق اليهم المددا
لولاه ما تركت صوارمنا ... في أرض يعرب منهم أحدا
لكنم سيرى نهايتهم ... سيرى الذي من زرعه حصدا
ولئن أراد بقاءهم أبدا ... فبعزمنا سنقرب الابدا
لن يرحم العرب الاشاوس من ... لم يرحموا شيخا ولا ولدا
ففدا تهب اراح نخوتهم ... والويل للمتصهينين غدا

◆ ◆ ◆

يا موطني ، يا موطنا حسدت ... أحياؤه في الساحة الشهدا
في ميسلون وقفت منفردا ... فحملت ثقل المجد منفردا
وغرست في الارض الكريمة ما ... قد طال حتى جاوز الجلدا
حقدا هو البارود أوقده ... عزم الشباب الحر فاتقدا
فأطار أم الموبقات الى ... باريسها وأزال من مردا
فاعجب لها أرضا مباركة ... تسقى النجيع فتنبت الحردا
واعجب لثاو تحت بلقعة ... منها يعد الجيش والعددا
ويقوده للنصر وهو له ... داع فيأتي النصر مضطردا

◆ ◆ ◆

اخوان يوسف هل اقول لكم ... اني اكتشفت الغيب مجتهدا
لما بدت فيكم بطولته ... وعلى جباهكم الاباء بدا
ورايتكم تثبون وثبته ... فتحطمون القيد والزردا
أيقنت والاحداث تثبت لي ... أن التقمص صح معتقدا
والحق ان الشام مذ وجدت ... معشوقة للمجد مذ وجدا

هي تنبت الابطال ياسرة ... مثل السحائب تمطر البردا
كم فوق هذي الأرض من بطل ... قام الزمان له وما قعدا
وطنية ، وحمية نمتا ... في نفسه وترامتا صعدا
وهب العروبة كل ما ملكت ... يده وأضنى القلب والكبدا
أفنى الفتوة مسرفا بهما ... وطفت كهولته فما اقتصدا
وتزيده الايام تضحية ... وتزيده أحداثها جلدا

• • •

حمدا يعم الشام من رجل ... حر اذا لمح الرضا حمدا
أسدت الي يدا حكومتها ... وأنا ابن من يسدي الي يدا
قد كنت أرجو أن أرى وطني ... يقظان يرفع للحجى عمدا
وبلغت ما أرجو فأسعدني ... أني وجدت الزهر قد عقدا
فالشعب يغنم عيشه رغدا ... والجيش يمنع بأسه البلدا
والأمن بين الناس منتشر ... والعدل يصلح كل ما فسدا
والخطة المثلى قد انتهجت ... من ليس يرضى فليمت كمدا

دمشق في ٤ حزيران ١٩٥٩ مطبعة الحكومة بدمشق

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 073551606
(NEC)
PJ7824
.A72
Z917
1959